لعنة أوكيغاهارا

رواية قصيرة

يوسف مومو

دار الزنبقة

لعنة أوكيغاهارا

رواية قصيرة

نشر الكتروني حر.
الطبعة الالكترونية الأولى . جويلية 2016
دار الزنبقة للنشر الالكتروني الحر والترجمة
2016© لعنة أوكيغاهارا – رواية قصيرة . يوسف مومو.
كل الحقوق الأدبية المعنوية والمادية للنص محفوظة للكاتب ©2016 دار الزنبقة للنشر الالكتروني الحر.

هذا العمل مرخص برخصة نَسب المُصنَّف - غير تجاري - الترخيص بالمثل 4.0 دولي المشاع الإبداعي. لمشاهدة نسخة من هذه الرخصة، قم بزيارة http://creativecommons.org/licenses/by-nc-sa/4.0/.

Cette oeuvre, création, site ou texte est sous licence Creative Commons Attribution - Pas d'Utilisation Commerciale - Partage dans les Mêmes Conditions 4.0 International. Pour accéder à une copie de cette licence, merci de vous rendre à l'adresse suivante http://creativecommons.org/licenses/by-nc-sa/4.0/ ou envoyez un courrier à Creative Commons, 444 Castro Street, Suite 900, Mountain View, California, 94041, USA.

المحتويات

مقدمة 6

ما حدث مرتين سيحدث للمرة الثالثة..... 8

فاصل: الحانة..... 17

الجهل نعمة 20

فاصل: لا تقلقوا 27

إذا سألت ربما سيكون الخجل للحظة، ولكن إذا لم تسأل سيكون الخجل معك طوال الحياة 30

فاصل: ابتهال ميت..... 41

لاشيء أغلى مما أعطي لنا 44

صحيفة أساهي 52

لعنة أوكيغاهارا

مقدمة

الحياة... تلك الهبة القيمة التي نُمنح، حق علينا أن نستغلها أحسن استغلال، فهي فرصة وحيدة لا ثاني لها، للأسف الكثير منا يضيع عليه هذه الفرصة أو يفكر في خسرانها.

بات الانتحار موضوعا حساسا داخل مجتمعاتنا، و الصمت يفاقم المشكل... كل أربعين ثانية، ينتحر شخص في مكان ما على كوكبنا الأرض، و هو ما يعادل وفقا لبيانات منظمة الصحة العالمية: 800 ألف حالة انتحار سنويا.

ويعد الانتحار ثاني مسبب للوفاة في فئة الشباب، هذه الشريحة التي تعتبره حلا دائما لمشاكلها العابرة.

"هيساو" شاب من بينهم، ياباني تغويه الأفكار الانتحارية...

في الصفحات التالية، سنتعرف عليه، و نرى العالم بعيونه اليائسة ذات النظرة الوجودية، و سنخوض معه رحلة البحث عن الموت، رحلة تخفي في محطاتها بحثا عن الحياة يشحنه الأمل...

ما حدث مرتين سيحدث للمرة الثالثة

二度あることは三度ある

- نعم فكرة جيدة، و سنحضر جهاز كاراوكي (*)

- جميل، سأهتم بتزيين الغرفة

- ستكون حفلة رائعة

- أكيد.ماذا عن قنينات الساكي (**)؟

- لن أنسى أن أقتنيها مع بعض اللفائف

- حسنا، و أنت يا "هيساو"، ستحضر الحفلة، أليس كذلك؟

- تعرفه جيدا، لا يحب الحفلات

- هيساو، قل أنك ستأتي

- هيساو ما بك لا تجيبنا؟!

- أوه... أعتذر، سرحت قليلا

- أنت دائما هكذا، هل ستأتي هذه المرة أم لا؟

- لا لن أحضر معكم... عندي الكثير لأفعله

- أعذار أعذار أعذار، إنها اسطوانتك القديمة

- أعتذر... لا أستطيع المجيء

- قلتها لكم، قلت لكم سيرفض. على العموم أنت حر، و مرحبا بك في الحفلة متى شئت

- أشكركم أصدقائي، سأحاول... علي الذهاب الآن. إلى الملتقى

- سننتظرك

- لن يأتي

(*) جهاز يعرض الأغاني مع كلماتها بدون صوت المغني

(**) شراب كحولي ياباني يصنع من الأرز المخمر

هكذا ودعت زملاء العمل، و رجعت إلى بيتنا مسرعا. ألقيت التحية على أمي، أبي و إخوتي:

– لقد تناولت العشاء في الخارج، تصبحون على خير.

ثم صعدت إلى غرفتي، ألقيت بحقيبتي و جلست أفكر...

انتصف الليل وقد كتبت الرسالة التي هيأتها منذ أعوام، حفظتها من كثرة تردد مناسبتها، حفظتها من كثرة تأجيل موعدها، لكنها اليوم ستخط لآخر مرة.

عن ظهر قلب، بعد" كيوتو "و 23/09/2014:

‹‹ كرهت الجنس البشري بما فيهم أنا. الكل يلهث وراء السعادة... وتعددت الطرق. أعملنا عقولنا بالعلم و صنعنا الفنون و عددنا الثقافات، و استأنسنا بالأساطير و القصص و الخرافات. كذبنا و سفكنا الدماء و لبينا الرغبات و الشهوات و المتمنيات و بحثنا عن الشهرة و المال و المتعة و الأمان...أكلنا و شربنا و تبرزنا و طمعنا في المزيد و تخيلناه و عشنا في خيالنا.

نتظاهر و ننافق و نناقض ذواتنا، ثم نخاف الفضيحة و الفناء، و ننتظر غيثا و عتقا من السماء.

تبا لهذا الوجود و لعبته:عبث و ملل. تكرار منه أتقزز. طبيعة لا أرضاها. من الحمق أن أحداها ؟! فلتعتبروه حمقا... هذا البرنامج لن أقبل. أن أجوع وأشبع... أن أفرح وأحزن... أن أعشق... أن أمل... أن أتذكر... أن أنسى... أن أغضب. أن أكون بشرا. كائنا حبيس عالمكم، برنامجكم، هذا البرنامج لن أقبل.

وجدت نفسي هنا و بحثت عن نفسي وعن هنا. ما هنا ؟... ولم أجد سوى عشوائيات زمكان

أحارب النوم...يقتلني الفراغ. أحارب السهر... تقتلني تفاهة الأحلام. أبحث عن السعادة فتصفعني حدودها.

و لما البحث ؟لما البوح بذلك في أسطر؟ لما كل شيء ؟ و لما لم يعد يعجبني أي شيء ؟. تبا لك أيها الوجود.

هذا ما فعلته يدي فلا يؤاخذ به غيري ››

ثم الإمضاء ف"هيساو".

وضعت الورقة بعناية على الأرض، كشفت عن رقبتي و عقدتها بثوب قميص متسخ ثم استلقيت على فراشي أنتظر... الشهقات و الزفرات تعلو شيئا فشيئا، والخفوق ينبض متسارعا، عيناي مغمضتان وسط الحلكة أشاهد وجهي ينتفخ ولونه يتغير، فإذا بيدي تسرع لتفك المخنوق و تخلصه من ذلك المشهد المروع، تعيد له النفس وترمي بالقميص بعيدا.

و مرة أخرى ألغي الموعد، خذلتني الشجاعة القصوى، أوهمتني أن أقصى السكرات ستزول ...تركتني في اللحظة الأخيرة أواجه المجهول لوحدي . وكأني بالناجين من الحياة و هم يوبخونني ...ضعيف، جبان، لم أشعر بنفسي، أنا أنيس الأرق، حتى سرق النعاس مني تلك اللحظات المحرجة لأغوص في أضغاط الأحلام، بل لتغوص بي، تبوح بما كُتِمَ و تفضح ما سُتر .تعرض مخاوفي و نزواتي اليومية بعبث

أوراق، ملفات، مكتب، كرسي،

الكرسي يرتفع بي، يخترق السقف، يعلو إلى السماء، حتى ألقي نظرة على أرض منبسطة

فتيات، قطط، لا بل نمل، مهما يكن

أجساد تدب على الأرض

فجأة غمرت الأشجار مد بصري

تعالى الموج الأخضر جماجم باسمة

" أوكيغاهارا "هي ذي، غابة أوكيغاهارا (*)

تصرخ في وجهي أن لعنتي عليك يا مخلف الوعد

أينك من قديسي الفناء؟ متى ستنضم؟

إذا قلت سأفعل في السنة القادمة، سيضحك الشيطان...

و استيقاظ.

غابة في اليابان تشهد سنويا العديد من عمليات الانتحار(*)

فإذا برسالتي لازالت على الأرض. والقميص أيضا... تذكرت. النجاة. الخلاص... قفزت من على سريري. لابد أن أهرب. إلى أين؟ لست أدري. الأهم هو التكفير عن ما جرى و التعويض... إعادة المحاولة... هنا؟... الرحيل هناك بدلا من هنا. لا وقت لأضيعه. هل أغير ملابسي؟ لا داعي. يجب أن لا أتأخر. و لما العجلة؟ سيكشف أمري. هون علي. سأنزل بهدوء كباقي الأيام الروتينية المعتادة... آه. أمي ها هنا:

- صباحك سكر صغيري. هيا لتتناول فطورك.

حساء الميسو الساخن. هدوء الصباح. ابتسامة أمي. أمي... لا. كلها أشياء لن تمنعني من المضي دون الالتفات.

أمي. و جميع من حولي لا يعلمون أن حبهم لي يخنقني. أن حبهم يضع على عاتقي مسؤولية الإستمرار في الحياة. أنا لا أريد أن أستمر. نعم أحبهم. وأحب أمي. لكن الحب تكليف و قيد يجعلني أعيش من أجل الآخرين و لو لم أعد أعيش أو أرغب في أن أعيش. وكأن وجودي ورطة لا حرية لي فيها و لا اختيار. لَعمري إن الوجود سجن منذ الولادة و يجب علي أن أنطلق باحثا عن حريتي.

- أمي سأذهب لقد تأخرت

- والفطور؟

- لا داعي. وداعا (إلى الأبد وداعا).

لم أحمل معي شيئا سوى بطاقتَي التعريف و الائتمان. بعض النقود و قارئ الموسيقى. تركت الهاتف و المفاتيح. تركت الماضي. الأهل. نزعت الحنين و تركتُني. تركت الكل ورائي. خطواتي إلى محطة القطار حيث تنتظرني المحطة الأخيرة... ربما هيروشيما؟ نعم سأفجر ألمي في هيروشيما و أنهي الوجود.

أسرعتُ الخطى متفاديا أن ألتقي بمن أعرفه. أو بمن يعرفني. ليس من الجديد أن أجتنب الناس. فهكذا أنا. خجول. كم هو صعب و مجهد أن أصنع ابتسامة و حركة و سؤالا كي أبدي للآخر اهتمامي. و كم هي محرجة لحظات الإجابة عن أسئلتهم حولي و حول أخبار و علوم هذا العالم الذي لا أعيره اهتمامي. ما هي وظيفتك؟ كم الساعة؟ مساحة منزلكم؟ بكم اشتريت هذا الجهاز؟ متى مباراة "كيوتوسانغا"؟...

كم هي محرجة لحظات تلقي مزاحهم الخفيف الثقيل ولذعاتهم المتقَبَّلة السامَّة. ما أغربهم حين يتعقَّلون و يَرشُدون. فيحين دوري لأفرط في البهجة و العفوية. ما أغربهم وما أصعب نظراتهم. إنها تتهمني بالطفولية و الجنون. كلنا أطفال و مجانين. فلا تفسدوا علي لحظات هروبي من جفاف واقعكم و زيف رُشْدكم.

الأهم الآن هو أن لا يعترض طريقي أحد يحول بيني وبين مرماي.

وضعت السماعات في أذني، مسكّنات موسيقية، تنسيني العالم بأسره. لا أتصور ما عشته بدونها. فالموسيقى حياتي، ارتبطت بها، بألوانها، بمقاماتها، بجميع أجناسها. أذني الآن ترقص مع أنغامها ناسية متناسية صخب الكون وسكونه القذرين.

الموسيقى اعتكافي، كوني . كم من المؤسف أن تكون أوهاما، مسكّنات فقط، لا شفاء.

لا شفاء من الوجود... لا شفاء.

‹‹ سوف تكون تائهاً و وحيداً و منعزلاً. ربما هدف الذهاب يتلخص فقط في فعل ما تريد... لتفعل أقسى الأشياء

لكن يجب عليك الاستماع إلى موسيقاك الخاصة و غناء أغنيتك المفضلة. استمع إلى موسيقاك الخاصة حتى و لو لم يشاركك الآخر في الغناء ›› تخاطبني الأغنية (*).

و أنا في طريقي، مررت قرب حائط مؤسسة "ريتسوميكان" التي درست بها مرحلة الإعدادية. كنت ثلاثة عشر عاما من الفرح تركض في ساحاتها. لا هم سوى إنجاز التمارين الكتابية و قضاء وقت ممتع مع الأصدقاء. أيام الأمس حلوة الأمس. هي الآن نوستالجيا ذاجة.

- تاكسي !!

أيام الأمس تعود متنكرة، تطعنك و تهرب تاركة ألم الحنين.

- محطة القطار لو سمحت...

أبعدني لو سمحت . فبعض الأماكن تحملك معها لتجوب بك عرصات الذكريات. تحييك في ماضيك لتعود بك و تقتلك في حاضرك. تتركك مشتاقا إلى المستحيل، إلى ما خلى و مر، يصبح النسيان أمَرّ. تتمنى لو تعيد اللحظات بنفس تفاصيلها، أن تقابل نفس الأشخاص، أن تستنشق نفس الروائح، و تستمع لنفس الأصوات و ترتفع ضحكاتك...

عادت الأماكن، زجت بك حبيسا ... حبيس شخص آخر لا تعرفه. من هو "هيساو" اليوم؟... حتما شخص آخر غيري.

(*) "Mama" Cass Elliot - "Make Your Own Kind of Music" (1969)

هيروشيما، ها أنا قادم...

هيروشيما... لما وقع الاختيار عليك دون باقي الوجهات؟.

- الجو غريب اليوم، أليس كذلك؟.

يسألني سائق التاكسي

- بلى... غائم كثيرا

- كئيب

- من؟... أنا؟!

- الجو

- هو كذلك... غريب، كئيب و بارد

نظرت إلى المرآة الجانبية للسيارة، فإذا بوجه شاحب، عينين منهكتين و سواد شعر رأس يختصم مع بياضه... إنه هيساو اليوم، يحمل في نظرته عقدين و المزيد.

- ماذا قالوا في النشرة الجوية؟ هل ستمطر؟

- ممكن... لست أدري...

- لنشغل المذياع

شرع السائق في المرور من إذاعة لأخرى. انتقد نوعية الأغاني المذاعة، ثم أصوات المذيعين. مر إلى انتقاد الأخبار و سياسة الدولة، و انتقد جهاز الراديو... كنت أجيبه بهمهمات بينما أواصل التمعن في صورتي على المرآة.

ها قد وصلنا، إلى محطة "كيوتو"...

- شكرا سيدي.

- رافقتك السلامة.

محطة كيوتو، حيث الأصوات تمتزج، بين مسافر و عائد، و مودع و مستقبِل، متاجر و مطاعم و حدائق... مرافق شتى. كل ذلك تحت سقف من الأعمدة الرمادية المتشابكة. الكل يراها معلمة كبرى. أنا لا أرى سوى منفَذ مُنقِذ.

حجزت التذكرة: سأنطلق من هنا إلى "أوساكا"، أغير القطار، ثم أصل إلى الموقع المنشود هيروشيما.

لكن الآن، علي أن أنتظر ساعة إلا ربع قبل أن يحين موعد قطاري الأول. ماذا سأفعل كل هذا الوقت؟...

بدأت أتجول ببطء، أطل على واجهات المحلات، لا تهمني المعروضات و لا الأثمنة، كل ما يهمني هو أن أقتل الساعة إلا ربع.

صعدت إلى الطابق التاسع أو الحادي عشر، لا يهم. صعدت لألقي نظرة على المدينة. كم تبدو صغيرة، صغيرة جدا. حفنة متناثرة من البنايات يسبقها إلى السماء برج كيوتو الأحمر... أين البشر وسط هذا المشهد الجاف؟ ثم أين البشر وسط كون جاف؟؟... عندما أتذكر صغر حجمي أمام الفلك الواسع، و أدرك أن شأني كشأن أي كائن كان، عندما تتبخر تفاصيل حياة الأفراد داخل نقطة باهتة في الفضاء، حينها ألمس القسوة، و ينتابني حزن عميق ليست الدموع بقادرة على مواساته. و هل أبكي الكون؟ هل أبكي لغز الوجود؟... جفت الدموع وسط كون جاف.

فجأة أحسست بوجود شخص يقف بالقرب مني.

- سيدي، تفضل.

استدرت لأعرف من المتكلم. فتاة قصيرة القامة، تخفي وجهها قبعة برتقالية، ترتدي ثيابا بنفس اللون. مدت يدها إلي بورقة برتقالية أيضا. أخذت الورقة فانطلقت الفتاة تبحث عن شخص آخر.

إنها موزعة إعلانات. لنرى ماذا يوجد هنا: عصير "هاروكي"... ذق طعم الحياة !! ... ب 198 ين فقط.

طعم الحياة؟!... و متى كان للحياة طعم؟. جعلوا للحياة طعم البرتقال، ثم وضعوا له سعرا. لا شيء مجاني في هذا العالم، كل شيء بثمن. ثمن الحياة أن لا تفهمها و تفهمك، و ثمن حياتك الخاصة معاناتك المجانية. نعم، وحدها المعاناة مجانية، و هي ثمن كل شيء و لا شيء.

مزقت الورقة، أخذت وقتي الكافي في تمزيقها قطع متساوية، جمعت القطع في قبضة يدي و ألقيتها في القمامة... ذوقي طعم الحياة !!.

و أخيرا، و بعد طول انتظار، حان موعد القطار. كنت من السباقين للركوب. و أخيرا... صمت حكيم، بعيد عن هرج المحطة، لا يُسمع إلا وقع أقدام المسافرين على أرضية المقطورة.

أخذت مقعدي بعيدا عن الجميع، جلست أنتظر حركة القطار... تحرك !!

انتظار يليه انتظار، هكذا نعيش، فما الحياة إلا انتظار، ثم احتضار...

فاصل: الحانة

كعادته، جالس أمام نادلة الحانة، كأسا يليه كأس، ثملا لا يعي ما يقول:

أهذا شراب ألماني أم روسي؟؟

كم أكره ياء النسب و الاسم المنسوب

و الحدود التي صنعوها و الحروب

الشعوب

سحقا... حقا

الموت للشعوب

سأقتل الجميع و أقتل نفسي

صبي
صبي فقد أعطشني الانتظار صبي
صبي
لم يعد يرويني شرابك العفن صبي
ترياقا من السماء أكف عن صراخي
بثي...أني لا أرى النصف الفارغ من كأسي
بل إن الكأس لم يمتلئ بعد..صبي
عيني
ترى السواد، هي السواد عيني..ما لم تصبي
ألا تسمعين
صبي صبت عليك لعنتي
صبي
صبي
صب

ص...

الجهل نعمة

知らぬが仏

و تحرك... تحرك القطار و ابتعد شيئا فشيئا. أجل، استمر أيها القطار في الإسراع، ابتعد أكثر...

شغلت قارئ الموسيقى على أغنية مناسبة، أسندت رأسي إلى المقعد، أستمع:

‹‹ خذني بعيدا عن هنا، و عن ألم اليوم... لا أذكر ماذا صنعت، أنهيت كل السنوات. الآن لا يوجد أحد غيري أسأله كيف وصلت إلى هنا... ربما سأجن، لكنني أحس باقتراب النهاية ›› (*).

و أنا شارد البصر، سابح بين اللحن و الكلم، جلست أمامي أم في الثلاثين تقريبا، يرافقها طفلها الصغير. إنه يشبه إلى حد ما إبنة أخي "هاناكو"، عمرها أربع سنوات، لا تعرف للمشاكسة حدودا، تضفي على البيت جوا جميلا من الحركية و الفرح .هذا الطفل نسخة هادئة منها، منشغل بدميته يعيش عالمه الخاص .

الأم هي كذلك، تعيش عالمها الخاص... يظهر على ملامحها عالم من الهم و القلق و المسؤوليات، بين ماضيها، حاضرها و ما ينتظرها ...

وددت لو أسألها عن إسم طفلها، و أردش معه: ما اسم صديقك الدبدوب؟... ماذا تقول له و يقول لك؟ ...هل تعيرني عقلك الصغير ولو لثوان؟ .

هكذا الأطفال... يعيشون الخيال الحلو، ينامون و يصحون على تطلعات صغيرة، و لا يدرون عن كوكبنا و ما يحمل لهم غدا. غدا صغيري، ستتوقف عن اللعب، و ستتغنى ب " كيمي غا يو"(**)، و تنهض لجلب لقمة اليوم، و تتشاجر مع جيرانك، و تبحث عن وظيفة، ستقف في الطابور و تدفع الضريبة و تبحث عن شريكة...

قريبا ستكتشف أياما رتيبة، ستتمرمغ في هراء المشاكل ...و ستلتزم بالحياة كما التزم بها من قبلك، دون موافقة و لا اختيار .ستعثر على نفسك و أنت تعيش دون أن تسأل "لماذا؟" .

انقطع صوت الموسيقى، تفقدت جهازي فوجدت البطارية قد نفذت... لا بأس، فالموسيقى لا تنفذ، هي في ذهني متى شئت ذلك ...أزلت السماعات، و أغمضت أبحث عن قيلولة خفيفة.

(*) Shane Alexander - "Feels Like The End" (2008)

(**)النشيد الوطني الياباني

يوما ما ستسأل عني "هاناكو": أين عمي؟. و يخبرونها بأن هيساو قد سافر و سيعود...يوما ما ...

لن أعود ...لن أحضر معكم لحظة قراءة الرسالة. لن أحضر أسابيع العزاء، و شهور الصدمة و البكاء. أعتذر كثيرا كثيرا. فأنا لا أرضاه لكم، الحزن على فراقي... لكنني اتخذت قرارا لن أحيد عنه. نسيان حب يجمعني بكم هو المطلوب، فاصبروا... اصبروا لمثالب الولادة .

اليوم، عندما يتأخر الوقت، ستقفز أمي: أين هيساو؟. سينطلق إخوتي للبحث... لا أريد أن أتخيل حجم الخوف و الألم في قلوبهم. عذرا أحبابي عن اليوم، و عن الأيام القادمة ...

- سننتصر

هكذا تكلمت أم الطفل. لا زلت مغمض العينين أتناوم، متفاديا الحوار معها. أصغي جيدا لحديثها :

- سنربح القضية، و ستبقى معي يا "جون". لن أتركك مع ذلك السكير العفن عديم المسؤولية و النفع. سننتصر و نعيش سويا يا جون، و سأعتني بك كثيرا. سأحضر لك كل ما تحبه، سأبذل الغالي و النفيس كي تبقى معي يا جون... أنظر هناك، هل ترى الطيور صغيري. أنت تحب الطيور يا جون. سأحضر لك طائر ببغاء، لا بل إثنين، أحمر و أبيض، و سيلقيان التحية عليك و على دبدوبك "بوبو" كل صباح... اووووف تعبت كثيرا يا إلهي، تعبت من ذلك الشبه رجل، يقضي طول الليل في الكازينو، بين طاولة قمار و طاولة خمر، يتسلى مع المومسات و يلعب و يسكر، حتى يخسر كل ما لديه. سيخسر الآن و سننتصر يا جون .تعال و عانقني ...ستصير ملكي يا جون...ستصير ملكي وحدي .

إسمه جون... جون لا يعلم أنه وقع في ورطة حب التملك. قلتها لك يا جون، ستجد نفسك بدون اختيار، لم تختر أباك و لا أمك، لم تختر حياتك... و ستدفع ثمن ذلك أنت وحدك يا جون. لقد وقعنا في الكمين .ليتني كنت مثل دميتك "بوبو"، دبدوبا صغيرا لا يحس، لا يتحرك، لا يتكلم، لا يعقل، لا يعي وجوده، غير موجود ...

ما ذنب جون؟ و أمه؟ و أبيه؟... ما ذنب هاناكو؟... ما ذنبي؟... ما ذنب البشرية حتى تشارك في لعبة دون أن توافق على خوضها؟... الحل هو الانقراض و ليس إنجاب المزيد من المشاركين. أنانيتنا الراغبة المشتهية لا تصنع أطفالا، بل تقحم أشخاصا جدد في المكابدة الأبدية ذاتها...

- هيا بنا يا جون، لنغير المقعد

قامت الأم من مكانها تبحث عن مقعد آخر، تبحث عن مسافر آخر تبوح له عن مشاكلها. أسمعها الآن و قد بدأت في محادثة أحدهم... لم تجد عندي ذرة اهتمام، كنت جثة مستلقية لا تبادلها الطرائف و لا الأحزان.

أتدرين شعور التجاهل؟... هكذا الكون يتجاهلنا.

مرة أخرى، أنا في عزلة، مرة أخرى شرد البصر... أحب أن أكون وحيدا منعزلا عن البشر. لحظات العزلة تجعلني أفكر... في ماذا؟... أفكر في كل شيء، أفكر في هدف الحياة، أحتاج هدفا، أحتاج عالما آخر. ‹‹ و أفكر بيني و بين نفسي... يا له من عالم رائع ›› (*).

مر بائع المشروبات بقربي... بطني فارغة منذ البارحة. ترددت في مناداته:

- سيدي ! ... سيدي... بكم هذا العصير؟

- ب 198 ين

- حسنا، أعطني واحدا... شكرا

ابتسمت في وجه قارورة العصير: عصير "هاروكي"... فتحته و أنا كلي فضول لتذوق "طعم الحياة". رشفت رشفة: سكر، ماء و ملونات؟!... رديء طعم الحياة. أغلقت القارورة و وضعتها جانبا... أينك يا حساء الميسو؟...

حساء الميسو الساخن، هدوء الصباح، ابتسامة أمي...

لا زلت أسمع أم جون و هي تشكو همومها للمسافرين، و يبادلونها بالنصيحة و المواساة. كم هي مملة و مزعجة.

على نبرات صوتها الحاد، صرخ أحدهم: صمتا يا امرأة!!!... سكت الجميع، أخذت قارورة العصير أرتشف و أبتلع... يا له من عالم رائع!!.

نظرت عبر نافذتي... لا شيء يستحق المشاهدة: بنيان متفاوت العلو يسرع في مروره. خطوط انسيابية تسابق القطار، كأنها أسماك تسبح محاولة اللحاق به، تغوص إلى الأسفل ثم تصعد من جديد. و سماء اليوم ثوب باهت يحجب أشعة الشمس... اليوم لا فرق بين الليل و النهار، إنه "شوبون نو هي"(**).

اختاروا الثالث و العشرين ذكرى لأهل القبور، لزيارتهم و إزعاجهم... لما لا تتركون الموتى يرقدون في سلام؟

مهلا...يرقدون؟؟... من قال لي أن بعد الموت رقود؟... ماذا لو كان رقودا تملأه الكوابيس؟؟؟...

(*) Louis Armstrong - "What A Wonderful World" (1967)

الاعتدال الخريفي: عيد وطني باليابان (**)

‹‹ و إلا فمن ذا الذي يقبل صاغراً سياط الزمن ومهانته؟... من منا يتحمل المعاناة لو كان في مقدوره تحقيق راحته الأبدية بخنجر مسلول؟ لولا الخوف من أمر ما بعد الموت ››. (*)

لا يا "هاملت".... تشجع و لا تخف. فليكن ما يكن، يجب علي أن أنهي هذا الكابوس الأعظم... كابوس كوني على قيد الحياة، ما يجعلني مترددا هو الخوف من فشل المحاولة، من الألم الفاصل بين الحياة و الموت، من الأسى الذي سأورثه أهلي... خوفي من لعنة أوكيغاهارا، بحر الأشجار، غابة المنتحرين.

توقف القطار بمحطة "شين-أوساكا". نهضت أم جون مثقلة بالأمتعة، تترنح مودعة الجميع: رحلة سعيدة!!... هيا صغيري لقد وصلنا، يتبعها جون من الخلف، نظر إلي، ابتسمت له فرد الابتسامة... كم أنت جميل يا جون...

واصل القطار حركته... ربع ساعة تفصله عن محطة أوساكا...

مددت القارورة إلى فمي فإذا بالعصير قد نفذ، شربت لترا و نصف اللتر دون أن أشعر... نهضت إلى المرحاض... كان مشغولاً، التفت ورائي فوجدت مرآة أوضح من زجاج سيارة الأجرة، اقتربت أكثر أحدق:

- أخبريني أيتها المرآة...من أنا؟...

- لا أعلم حقا من أنت لكنهم ينادونك بصاحب العمر المديد، هذا ما يعنيه اسمك... فهل سينتهي العمر اليوم أم ستبقى ملعون أوكيغاهارا؟...

- أخبريني أين أنا؟... لماذا أنا هنا؟... لماذا أنا؟... لماذا؟...

فتح الباب و خرج من خرج، أخذت دوري و أحكمت إغلاق الباب. كان حائط المرحاض مليئا بالكتابات و الرسومات. أرقام هاتف، قلوب، أسماء و ألقاب، شتائم... أعجبني ما خطه أحدهم: "كم أنت غريب يا كل شيء".

أجل صديقي، كل شيء غريب، و الأكثر غرابة هو ما صرت عليه اليوم. كنت أعيش الحياة بكل تلقائية دون استفهام و لا استغراب، مستمتعا كنت أعيش النعمة. اليوم لست قادرا على العيش بتلقائية فكل شيء قد فقد معناه و أصبح غير مفهوما، غريبا... نقمة أن تسأل عن ما لا إجابة له، أن تزهد في الحياة بحثا عن لا إجابة.

انتهيت و وقفت أمام المرآة أغسل يداي و أرش وجهي بقليل من الماء... تنهدت تنهيدة عميقة ثم خرجت. و عند رجوعي إلى المقعد لحظت استعداد المسافرين و جمعهم لأمتعتهم. لم أحضر شيئا، سأهبط خالي اليدين و الكتفين، مثقل البال... أحمل معي اللا جدوى و قارورة عصير فارغة.

(*) ويليام شكسبير – هاملت (1602)

توقف القطار، قام الجميع، بقيت جالسا، مطأطئ الرأس أنتظر نزولهم... كنت آخر واحد يهبط من المقطورة، وضعت يدي اليسرى في جيب سروالي ثم بدأت في العبث بخطواتي،أقذف بقدمي هنا و هنا، كالسكران أراقب تغير الأرضية، يتقدمني وفد الحقائب المجرورة، كلي إصغاء إلى الأحذية و الكعوب العالية و هي تقرع الرصيف 128 قرعة في الدقيقة... أخذت أدندن و اضرب بالقارورة مكملا أجزاء المقطوعة.

انضم إلى مقطوعتنا صوت موسيقى ينبعث من داخل مبنى المحطة، بعد قليل وجدت نفسي أمام مصدر الصوت: شاب قصير القامة، يرتدي زي الهنود الحمر، يتقلد نايا و يحمل قيثارة، يعزف السرور الممتزج بالبساطة... نعم سرني كثيرا عزفه، وقفت ملازما له لم أحرك من مكاني بينما تسابق البقية إلى الداخل، يا له من عازف بارع، ينتقل بين روحانية الناي و دفئ الأوتار بسلاسة، يحرك مخيلتي صوب مناظر طبيعية نقية تسمو عن اصطناعية المكان.

ما أحوج مسامع الناس إلى مثل هذه اللحظات... اتسخت بفعل الضوضاء التي تباع لهم يوميا، يسمونها موسيقى و أسميها تجارة، حين يلوث الفن و يبضع و يستهلك، ها هم الآن يمرون على العازف لا يكترثون... أخرجت من جيبي ورقة ألف ين ثم وضعتها في صندوقه و بقيت واقفا أستمع...

أمضيت معه كل وقتي حتى حان موعد الوجهة الثانية، رميت قارورتي في القمامة و وقفت أعاين التذكرة، هيروشيما تنتظر ضيفا خفيفا... توقف القطار أمامي، و بعد برهة صعدت متحمسا و جلست في أول مقعد أصادفه، وداعا أوساكا... انطلاق.

فاصل: لا تقلقوا

جاءت إلى هذا الوجود تبتسم بعدما اخترق الهواء رئتيها، تبتسم و الكل حولها يبكون. حملوها من على سريرها ثم نقلوها إلى غرفة الجلوس و أقعدوها على الكرسي تسترجع أنفاسها و تودع التعب. كان بالغرفة زوجها، أبنائها الأربعة و أمها، على وجوههم علامات القلق، ينصتون إليها بخشوع و هي تطمئنهم:

لا تقلقوا سأكون بخير.. سيتحسن حالي يوما بعد يوم، و عاما بعد عام. ستتناقص همومي شيئا فشيئا.. سيخفيها النسيان...

لا تقلقوا أبنائي فالقادم أفضل، سأودعكم واحدا تلو الآخر و أودع أباكم.. ثم أستقر مع أمي و أحضر أبي ليعيش معنا، سيعتنيان بي جيدا و سأصبح أجمل فأجمل...

سأترك الجامعة و ألج المدرسة، أفرغ عقلي من كل ما تعلمته و أمحو كل ما تلقنته. سأكتسب البراءة و النشاط، سأحارب الخبث و الكلل.. "ألف"، "باء"، "مدرستي" أشياء ستنسى. سأفقد أسناني لكن لا بأس.. سأصبح أجمل فأجمل، و أجلس ألعب دون أن أعرف الملل، دون أن أعرف كيف أنادي أمي...

و عندما يحين الأوان، سأصرخ و أصرخ، و سيلتف الكل حولي،

سيبتسمون و أبكي...

لا تقلقوا سأكون بخير حينها.. كأن لم أكن يوما هنا، سأغادر باكية،

و أرحل...

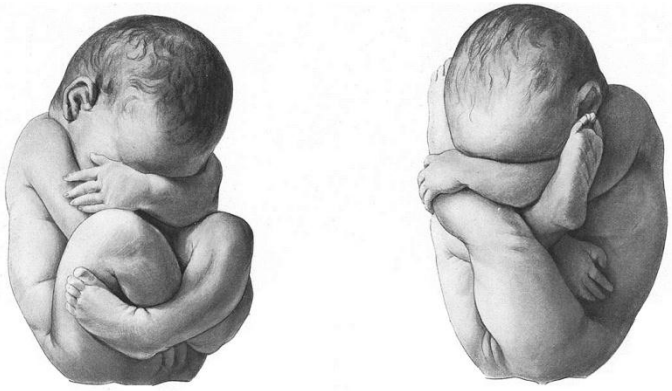

إذا سألت ربما سيكون الخجل للحظة، ولكن إذا لم تسأل سيكون الخجل معك طوال الحياة

聞くのは一時の恥、聞かぬのは一生の恥

بمعطفها الأسود، نظارتها الشمسية و قبعتها الرياضية، وقفت أمام المقاعد تحمل بالسبابة و الوسطى على كتفها حقيبة ظهر... رمت بها على المقعد ثم جلست أمامي. قالت ببحة صوت:

- مرحبا

أجبت بالمثل... ثم أدرت وجهي إلى النافذة. فتحت الفتاة الغامضة حقيبتها، فتشت قليلا ثم أخرجت كتابا و قارورة ماء. وضعتهما جانبا، أغلقت الحقيبة و أخذت الكتاب تقلب الصفحات. ليتني احتضرت معي كتابا مثلها، على الأقل لا بطارية له كي تنفذ...

- قهوة لو سمحت!.

نادت الفتاة بائع المشروبات الذي مر بقربنا.

توقف البائع يعد في كوب القهوة، بينما ألقي نظرة على عربته... لم أجد عنده قارورات الهاروكي. أردت أن أجرب العصير للمرة الثانية، فقد تعودت على طعمه الذي لا بأس به... هل أطلب قهوة؟... هل أطلب شيئا آخر؟... لا داعي لذلك.

أخذت الفتاة كوبها و انصرف البائع. نظرت إلى كتابها محاولا معرفة عنوانه إلا أنها كانت تخفيه بيديها، كان جزء من صورة الغلاف بالكاد يظهر بين أصابعها...

مهلا!!... أعرف هذا الغلاف!!... نعم، صورة التابوت!!!... إنه «الدليل الكامل للانتحار» لمؤلفه واتارو تسورومي... ما هذه الصدفة بحق السماء؟!!... كنت أبحث عن هذا الكتاب منذ مدة، ثم توقفت عن البحث مقتنعا أن قتل النفس لا يحتاج إلى دليل، فكثير هم من نجحوا في المغادرة دون مقدمات... منهم الأصغر مني سنا، و الأكبر مني مسؤولية، و الأتعس مني حظا... عبروا إلى الضفة الأخرى بسلام و بقيت أنا هنا أتلقى توبيخ أوكيغاهارا: متى ستنضم؟...

أنا الآن جالس أمام شخص يرغب في الموت هو الآخر... أمر لا يصدق!!!. هل أسألها عن اسمها و أخبرها مشاركتي لها نفس القرار؟... لم أجرؤ على الكلام. بقيت صامتا مترددا... أراقبها، أراقب الكتاب و أبعد دهشتي و نظري إلى الأرضية. بقيت كذلك لدقائق حتى رن هاتفها فأخرجته من الحقيبة و أجابت مخافتة:

- موشي موشي (*) ... نعم... أجل... كل شيء جاهز؟... إذن موعدنا اليوم...سننتظرك.

أنهت مكالمتها، أعادت الهاتف ثم تابعت القراءة... قلت في نفسي: تشجع... تكلم... اسألها...

(*) كلمة يابانية للترحيب على الهاتف

– عفوا آنسة

لم تسمعني... ربما تجاهلتني... أو أنني لم أرفع صوتي بشكل واضح

– عفوا

نظرت الفتاة إلي تنتظر مني أن أتحدث...

– هل... هل هذا هو كتاب واتارو تسورومي؟

– من؟... لا أعرف... لم أنتبه يوما إلى إسم الكاتب... دعني أرى... فعلا...هو. هل سبق لك و أن قرأته؟

– لا... حاولت أن أحصل عليه، لكنني ارتأيت أن أستغني عنه

– إذن سبق لك و أن فكرت في الانتحار

– نعم، فكرت و حاولت... ولا زلت أفكر و أحاول... و سأنتحر

– صدفة جميلة... أنا أيضا سأنهي حياتي قريبا قريبا... ما اسمك؟

– هيساو. اسمي هيساو

– و أنا "كيوكو"

– كيوتو؟

– كيوكو

– إسم جميل... يعني المرآة، أليس كذلك؟

– بلى... كيوكو المرآة

نزعت ورقة من الكتاب ثم بدأت تفتش في حقيبتها:

– إذا كنت مستعجلا في الأمر، فإنني سأقيم اليوم بمنزلي انتحارا جماعيا، في منتصف الليل...

نظرت إليها جاحظ العينين، كلي دهشة، مستغرب لما قالته، مرعوب من برودة تصرفاتها و هي تخرج أحمر شفاهها لتكتب به على الورقة الممزقة... ثم مدتها إلي:

– هذا عنوان منزلي... يمكنك المجيء لإنهاء حياتك... طبعا إذا أردت...

أخذت منها الورقة و عاينتها ثم وضعتها في جيبي.

- أشكرك كيوكو... سأحاول...

- اتفقنا

مدت كيوكو يدها تصافحني، ثم فجأة قبضت على يدي بقوة و سحبتني لتقول لي:

- و إياك... إياك و الإبلاغ عني. لقد وضعت ثقتي فيك لأنك تبدو مهذبا، فابق كذلك ولا تفضح السر... اتفقنا؟؟

- نعم بالتأكيد اتفقنا

عدت إلى مكاني و أنا مبعثر الأحاسيس، بين خوف و ارتياح... هل أضع ثقتي في هذه الغريبة المجهولة كي أختصر طريقا أسهل إلى الموت؟... ما هذه الورطة التي وقعت بها؟... أهي فعلا ورطة أم فرصة لا مثيل لها؟... أغمضت كيوكو عينيها لتنام و تركتني حائرا أفكر...

مريب أمرك يا كيوكو، تبشرين للموت؟!... كيف لك أن تتقدمي بدعوة موت لشخص تجهلين هويته؟!. على العموم، لن أضيع هذه الفرصة، و سألبي الدعوة. على الأقل سأجد بقربي من يشجعني و يساعدني و يضمن لي نجاح العملية... لن أخسر شيئا...ليس عندي ما أخسره... سألبي دعوتك يا رسول أوكيغاهارا ، و لن أخبر أحدا.

موعدنا منتصف الليل، الساعة الآن حوالي الخامسة بعد الزوال، دقائق و نصل إلى محطة هيروشيما. استيقظت كيوكو ثم سألتني بدون تمهيد:

- هل هي أول مرة تزور فيها هيروشيما؟

- أجل، لا أعلم شيئا عن هذه المدينة

- و إلى أين أنت ذاهب؟

- لست أدري

- إذن أنت بضيافتي يا هيساو. مرحبا بك، سنذهب سويا إلى المنزل.

- شكرا... مممم... لكن...

- لا وجود ل"لكن" في قاموسي، ستأتي معي و انتهينا.

صدمتني ثانية بجرأتها و صرامتها... لم يعد لدي ما أقوله، امتثلت للمصير الذي رسمته لي هذه المجنونة و رضخت لقراراتها.

لملمت كيوكو أغراضها، وضبت الحقيبة و هي تسألني:

- كم عمرك هيساو؟

- اثنان وعشرون عاما... و أنت؟

- ثمان و عشرون

- تشرفت بمعرفتك كيوكو

- و أنا أيضا... هيا انهض، لقد وصلنا.

بعثرت كيوكو كل مخططاتي. قمت من مكاني، تتقدمني مسرعة و ألحقها، مثل جون الصغير يتبع أمه... خرجنا من القطار، ثم من المحطة... توقفَت على الرصيف فتوقفْت أرقب مسير هذه القائدة... حملَت هاتفها و أجرت مكالمة سريعة:

- أهلا "هيروشي"... نعم لقد وصلت... جيد... أنا في الانتظار...

التفتت إلي ثم قالت:

- إنه صديقي هيروشي، سيأتي بسيارته خلال ثوان ليوصلنا إلى المنزل

ما إن بدأت مخيلتي في رسم صورة صديقها و السيارة، حتى سمعتها تقول:

- ها هو ذا قد وصل، لنعبر الشارع

اقتربنا من سيارة قديمة الطراز، ذات طلاء باهت، تهتز بفعل محركها الذي يصدر صوتا مزعجا. أخرج السائق وجهه فأرعبني: كان وجها مشوها، قبيحا، مخيفا... بضخمة و عسر في الكلام قال لنا:

- هيا اصعدا، اصعدا

فتحت لي كيوكو الباب الخلفي، أشارت لي بالصعود فركبت و جلست جانبي... أغلقت الباب ثم انطلق هيروشي.

- هذا يا هيروشي صديقنا الجديد، اسمه هيساو، و هو كذلك من المدعوين اليوم

- مرحبا بك هيساو، مرحبا بك في نادي الانتحار

ابتسم ثم تلته كيوكو بضحكة مبحوحة و متقطعة أنهتها بسعال غليظ.

- هل أحضرت السجائر يا هيروشي؟

- أجل، خذي

أشعلت سيجارة و بدأت في تدخينها و هي تحاورني:

- ما هي مهنتك؟

- موظف بسيط في شركة تأمينات

- في جوابك نوع من التذمر و عدم الرضا... هل تجد راحتك في عملك؟

- مرت سنتان على اشتغالي بالشركة، أحرر التقارير و أراجع الحسابات نهارا، و اتمم ذلك على حاسوبي الخاص ليلا، أسهر أمامه أحارب رتابة أرقام الشاشة و غباء الباعوض المزعج، المحلق المتحلق حول ضوئها... كنت أعمل بجدية قاسية و صبر أعمى حتى اكتشفت يوما أن لا شيء يستحق الجدية و الصبر... اكتشفت أن رب الشركة فاسد، مرتش، لا يهتم بمجهود أحد... حينها يصبح الحظ قانونا، و أتساوى مع زملائي الأقل جدية و صبرا، و هذا ما جعل مني في الفترة الأخيرة أقل اهتماما.

- و هل هذا هو سبب تفكيرك في الانتحار؟

- ما هذا إلا نموذج مصغر من عبث الحياة... و أريد أن أفارق هذا العبث

- ألا ترى أنك تبالغ في الأمر؟

- إطلاقا... حياتنا لعبة حظ لم نُستشر في قبولها

- حياتنا قدر

- قدر أخرق

تعالت قهقهات كيوكو و هيروشي بينما أنظر إليهما ببؤس... ليتكما تريان ما أرى...

– أنت يا بني تائه بعيدا عن الواقع... تعاني من أزمة وجودية عابرة

– لا يا هيروشي، بل أعيش الواقع و أعاني ما يجب على المرء أن يعانيه... و إلا فأخبراني، ما الذي يجعلكما ترغبان في فراق حياتكما "العادلة"؟

أوقف هيروشي سيارته أمام منزل صغير معزول وسط منطقة خضراء هادئة، ثم استدار يصافحنا:

– هيا، للحديث بقية... ها قد وصلنا، سأترككما و سأعود ليلا

– شكرا لك على إيصالنا، سأنتظرك... لا تتأخر و إلا سبقك قطار الموت

– لا تقلقي سأكون في الموعد، إلى اللقاء

خرجت من السيارة رفقة كيوكو ثم اقلع هيروشي مخلفا وراءه دخانا كثيفا... أخرجت كيوكو مفاتيح باب منزلها، فتحته، ثم رحبت بي قائلة:

– تفضل أيها المتفلسف، ادخل

أخرجت ورقة العنوان فوجدتها بلا عنوان، ملطخة ببقع أحمر الشفاه، أعطيتها إياها و دخلت المنزل... أغلقت الباب ثم قالت:

– أحمر الشفاه يليق بالشفاه لا بالورق، كم أنا غبية... لا بأس فهو أول استعمال لي، أرأيت؟... لحسن حظك أتيت معي، و إلا فستكون وحيد ميتتك... تفضل لا تخجل

كان بيتا خشبيا عتيقا ذا إضاءة خافتة، يملأ أرجائه أثاث فاخر غير مرتب، من كراسي و لوحات، و تماثيل و كنبات... جلست على إحداهن فجلست أمامها على أخرى... وجها لوجه، نتحدث:

– قولي لي، ما بال وجه هيروشي؟

– أفزعك؟

– قليلا... نعم أفزعني

– محاولة فاشلة: كان يعاني من البطالة و الوحدة، فعمد يوما إلى وضع مسدسه تحت ذقنه، أطلق النار، فاخترقت الرصاصة وجهه دون أن تودي بحياته، بعد شهرين من الغيبوبة، عاد مشوه الوجه و أكثر اكتئابا من ما كان عليه.

- كم هذا مؤلم

- الآن و قد فقد الأمل في الحصول على وظيفة و زوجة، سيغادر معاناته إلى الأبد... بينما أنت مع احترامي لك، شاب جميل، تملك وظيفة، و أمامك الكثير لتعيشه... استيقظ من وهمك و عش.

- معاناته تمسني، كما معاناة البشرية جمعاء... لا أستطيع أن أشكر الحياة على ما تقدمه لي و تنزعه من الآخرين...

- ما بك تحمل هموم الكون؟... عش بكل أنانية و تلقائية، و لا تخض في متاهات التفكير

- لا أستطيع

- و لن تستطيع، فقد فات الأوان... غريب أن أدعوك للعيش بعدما قبلت دعوة الموت!!

- قضي الأمر (هل أنا متأكد؟...)

- بإمكانك التراجع فأنت حر

- سأنتحر...

- حسنا، قهوة؟

- نعم من فضلك

نهضت إلى غرفة أخرى، ربما إلى المطبخ... بقيت جالسا على الكنبة، أطقطق أصابعي و أكتشف المكان حولي... لاحظت صورا لكيوكو بزي عسكري، عدة صور، ما جعلني أسألها بأعلى صوت:

- ما مهنتك يا كيوكو؟

- أنا؟... انتظر قليلا، سأحضر القهوة و أجيبك

- عفوا

انتظرتها على أصوات الأواني و الملاعق و الماء المسكوب...

- كم قطعة سكر تريد بالكوب؟

- قطعة و نصف لو سمحت

عادت كيوكو مبتسمة تحمل كوب قهوة فقط

- و أنت؟

- تفضل أنا لا أريدها

- شكرا... أقصد أنت... ما هي قصتك؟

- أنا جندية سابقة، يتيمة الأم ترعرعت داخل أسرة ذكورية، مع أبي و أعمامي... أدخلوني غصبا في الخدمة العسكرية، حرموني طعم الطفولة... لبست الزي الأخضر و لوحت بأناملي الصغيرة لأبي الذي كان في وداعي عند صعودي الطائرة... اشرب قهوتك...

- حسنا، أتممي كلامك.

- قالوا لنا إنا متجهون بكن إلى العراق، للمساهمة في العمليات الإنسانية وإعادة الإعمار...لن تقاتلن و سنضعكن في مناطق خارج نطاق الخطر... كان ذلك في أواخر سنة 2003، كذبوا: وجدت نفسي داخل منطقة مستهدفة... هوجمنا بالصواريخ و تم أسرنا و اغتصابنا من طرف تنظيمات مجهولة... لم أعد إلى الوطن إلا و أنا محملة بالكوابيس... عدت لأجد والدي في عداد الموتى تاركا لي هذا المنزل و جرحا عميقا لن يزول ما دمت حية... هل ترى أيها الفيلسوف حجم معاناة الآخرين؟ لنا أسبابنا المعقولة لنترك هذا العالم... فكر...

- أنا أعتذر إذا ذكرتك في جرحك العميق هذا... أعتذر.

- لا عليك، فقد قسا القلب و لم يعد يؤلمه جرح... اشرب اشرب...

- قهوتك لذيذة، لها طعم خاص.

- شكرا... هذا يسرني...

هانت قصتي أمام نَصَب كيوكو و هيروشي... هل ضخمت الأمور كل هذه المدة؟ هل جعلت لحياتي بعدا وجوديا يضيع علي فرصة استغلالها؟... و ما بها حياتي؟... شاب جميل، أملك وظيفة، و أمامي الكثير لأعيشه... كم هذا مخجل حقا...

- هيساو، أتسمعني؟

- عفوا سرحت قليلا

- أنت تحتاج للمزيد من القهوة...

نهضت كيوكو لتحضر كوبا آخر... بينما بقيت جالسا، شاردا، أستغرب لحالي: هذا ليس هيساو الذي أعرفه... صوت بداخلي يعرض علي فكرة الانسحاب، يحاول إيقاد شعلة طموح... لن أستسلم له، سأقاومه... أشعر بدوار خفيف... بارتخاء و فتور... و ما زال الصراع قائما بيني و بين ذلك الصوت. و لماذا لا انقص من قيمة الحياة و لا أضيع فرصة عبثي بها بكل فضول، ما دامت هي عابثة بي بلا مبالاة؟... سميتها لعبة، فلأستمر في اللعب... هي نفس الحياة إن قضيناها في البكاء أو الضحك... نعم سأموت، مصير واحد، فلما التسرع؟... لن أصبر على الأيام القادمة مهما حملت من مفاجآت، سأغادر مع المغادرين... سألتحق بأهل أوكيغاهارا... أووووف!!... سأجن... ليتني أتوقف عن التفكير، أتوقف إلى الأبد.

تناولت الكوب الثاني فأخذت كيوكو تتحدث، لم أستطع التركيز في كلامها... تغمرني رغبة شديدة في النعاس...

- عفوا، سأستلقي قليلا

- خذ كامل راحتك

وضعت رأسي المثقل، أغمضت و رقدت...

فاصل: ابتهال ميت

سقطت أول قطرة مطر على جمجمته و هو مستلق قرب نصب قبره يراقب البدر. انهمرت المياه غزيرة تغسل عظامه النخرة، فجئا مناجيا:

يا أهل السماء
نحن لا ننتظر من حضرتكم أن تمطرونا بماء
و لا أن تجعلوها قحطا صحراء
لغز الوجود يحتاج حلا
اكشفوا عن المستترات
لغز الوجود يحتاج حلا
افتحوا أبواب الغيث...و اقلبوا الثاء باء
علمونا من علمكم و اروا العقول.. لا الحقول
لغز الوجود يحتاج حلا
أخبرونا
أرشدونا
ما نحن و أين نحن و إلى أين سترسلونا
أوقفوا الأمطار قولوا...ما يأتي بعد الفناء
كم طال إنتظارنا و أنتم أيضا تعدون
منذ أن وجد البشر إلى 16 و عشرون
و الأعوام قادمة بلايير من الأيام الصماء البكماء
لغز الوجود يحتاج حلا
يا أهل السماء...

صرخ أهل القبور يستنكرون: عد إلى نومك يا هذا!!

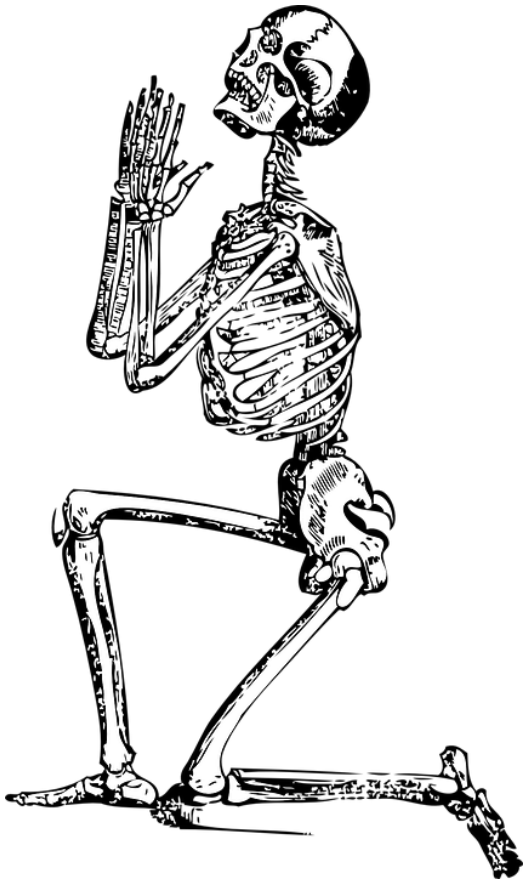

لاشيء أغلى مما أعطي لنا

ただよりたかいものはない

استيقظت بعد قيلولة مريحة و شعرت بنشاط و طاقة عجيبين. اعتدلت في جلستي أبحث عن كيوكو. فإذا برجل كبير السن يقف أمامي، يخاطبني بصوت رخيم:

- أهلا هيساو، أنا "يوشي"، صديق كيوكو. أخبرتني عنك. سررت بمعرفتك

نهضت حائرا أصافحه:

- و أنا أيضا سيدي

التحقت بنا كيوكو:

- تعرفتما على بعضكما؟!... انه يوشي، مرض متقاعد، و هو من سيمدنا ببعض العقاقير و الأدوية كي نموت سويا؛ أنا، أنت، هو و هيروشي... تفضلا اجلسا سأعود بعد قليل.

انصرفت كيوكو إلى المطبخ فسألني يوشي:

- هل نمت جيدا؟

- أجل

- و هل تشعر الآن بالراحة؟

أجبته بحذر:

- أجل...

- هل أنت متأكد من قرارك؟

ما به ينهال علي بالأسئلة المباشرة؟!... يستفزني... سأسأله بدوري:

- و هل أنت.. متأكد من قرارك؟

- من؟ أنا؟.. لا أخفي عنك أنني لا زلت مترددا. قد أساعدكم على النجاة من الحياة، لكنني لا أعلم إن كنت سأنجو معكم أم لا...

- لماذا؟ ما المانع؟

– أفكر في ابني الصغير، أملي الوحيد... سيبحث عني. لن يجد أبا بجانبه، لن يجد سندا يعينه على بناء مستقبله و يصنع منه مواطنا صالحا نافعا و رجلا يخدم الإنسانية، يغير العالم إلى الأحسن... ذاك حلمي... لست أدري هل أمضي في الحلم أم أنهيه بعد ساعتين من الآن مودعا ابتسامة صغيري...

عادت كيوكو من المطبخ تسأل يوشي:

– و كيف ستحل مشكلتك مع زوجتك "هورا" و قد وصل بكما الأمر إلى المحاكم؟

– ربما سأقنعها أنني سأتغير و أقلع عن القمار و الخمر... ستتنازل.

سرعان ما تذكرت جون و أمه... فنطقت:

– هل اسم ابنك جون؟؟

– أذهلتني، نعم جون... أتعرفه؟ أين هو؟ هل هو بخير؟...

– بل أنت الذي أذهلتني... التقيت ابنك رفقة أمه بالقطار اليوم... طفلك جميل، جميل جداً

– حقا؟ و ماذا عن "هورا"؟

– زوجتك؟... تقول أنها ستنتصر و ستحتفظ بجون لنفسها... مع احترامي لك سيدي، زوجتك مزعجة

– قد تبدو لك كذلك لكن قلبها كبير، هي قلقة و خائفة على ابننا من أفعالي الطائشة الغير مسؤولة

– يجب عليك أن تنقذ الموقف كي تحقق لجون نشأة متوازنة... هل أنت مستعد لتغيير سلوكياتك؟

– نعم، لن أنتحر... لن أنتحر

غرغرت عيناي و قلت له:

– امض في حلمك أرجوك، حاول أن تجعل من جون شخصا يحول العالم إلى مكان أفضل نستحق أن نعيش فيه

– أشكرك هيساو، أشكرك جزيل الشكر... و أشكر القدر الذي جمعني بك...

و في لحظة، انفجرت أبكي بكاءا شديدا... القدر؟ أهذا ما تنعته بالأخرق؟... كنت في غفلة، في وهم، بإمكاني أنا أيضا تغيير العالم إلى مكان أفضل... أنا و جون و يوشي و هورا و كيوكو و هيروشي... سنقف جميعا في مواجهة عبث الحياة و قسوتها، سنتمرد و نصنع عالمنا المثالي... كل شخص يحمل أمل التغيير... كم كنت غافلا عن هذا كله، صرخت بأعلى صوتي و الدمع يملأ وجهي المحمر:

- لن ننتحر، لن ننتحر... أتسمعينني يا كيوكو؟! لن تنتحري... خذي هاتفك و اتصلي بهيروشي...اتصلي... اخبريه أنه لن ينتحر... و أننا لن ننتحر.

عنقني يوشي يهدأ من روعي... ثم قادتني كيوكو إلى الحمام:

- اهدأ اهدأ... حسنا لن ننتحر، توقف عن البكاء و اغسل وجهك

دخلت الحمام و أقفلت على نفسي، ثم جلست على الأرض أبكي بحرقة... طرق يوشي الباب:

- كفاك بكاءا

قمت فغسلت وجهي و نظرت إلى المرآة مليا... و عند خروجي وجدت هيروشي قد انضم الينا، قلت له:

- هيروشي...أرجوك لا تنتحر...

- لن أنتحر، أتعلم لماذا؟...

وضع هيروشي يديه على وجهه ثم شده بقوة... إنه يزيل طبقة من جلده... لا بل إنه قناع!!... كان يرتدي طول هذا الوقت قناع وجه مشوه!!!...

صرخت مصدوما:

- خدعتموني!!!!

اقترب يوشي مني ثم أمسك بي بقوة يهزني:

- اهدأ... لم نخدعك، بل حاولنا مساعدتك قدر الإمكان، دبرنا لك كل شيء منذ البداية: تابعنا تحركاتك، اخترعنا قصصا كي تغير نظرتك، وضعنا لك مضادات اكتئاب و مهدئات في قهوتك كي تتحسن و وظفنا كل طاقاتنا كي نشحنك بأمل الحياة... اعلم أن حياتك ثمينة فلا تفرط فيها أبدا!!...

- من تكونون؟

- جند القدر...

لم أعد قادرا على الكلام، شل جسدي بين يدي يوشي... تلقيت ضربة قوية برأسه فوقعت مغمى علي...

بعد هنيهة، تسلل أذني صوت مألوف... إنها رنة هاتفي. فتحت عيني مستغربا فاخترقتها أحزمة ضوء ساطع، اتضحت رؤيتي شيئا فشيئا حتى اكتشفت موقعي: أنا الآن بغرفتي!، مستلق على سريري!!، رسالتي لازالت على الأرض، والقميص أيضا!!!... قفزت من على سريري بقوة و وقفت مذعورا، شاغر الفم، أدور حول نفسي أتفقد أرجاء الغرفة... ألقيت بنفسي جالسا على السرير، و الصدمة تكاد تذهب عقلي...

إنه لأغرب و أقوى و أدق و أصدق حلم مر في حياتي. كيف لحلم أن يكون بهذا التسلسل و التعقيد الأقرب إلى الواقع؟!...

انقطع الهاتف عن الرنين، أخذت أتفقده؛ فوَّتت مكالمة "ميتسورو"، أحد زملاء العمل... لا بأس، سأتصل به لاحقا. حملت ورقة الرسالة من على الأرض، نظرت إليها ثم مزقتها و رميتها في سلة مهملاتي... عدت إلى القميص، خرجت من غرفتي و وضعته داخل آلة التصبين... تنفست بعد الصعداء ثم انطلقت أركض مبتسما...

- أمي!!

انقضضت عليها أعنقها و أقبلها و هي تضحك:

- مساء الخير و السعادة، ما بك صغيري؟!

- لا شيء... أحببت أن ألقي تحيتي عليك...

- أطلت اليوم في نومك كثيرا!

- لا بأس فنحن في عطلة... هل من حساء ميسو؟

- سبقك إخوتك، لم يتبقى لك سوى نصف صحن... و بارد

- لا يهم...سأتناوله، أمي!!...

- نعم يا بني

- أحبك

أجابتني باستغراب:

- و أنا أيضا أحبك...

حملت الهاتف و اتصلت بميتسورو:

- صديقي البدين!!... كيف حالك؟...

- بخير يا هيساو، و أنت؟

- أنا بألف خير... اتصلت بي منذ قليل لكنني لم أستطع الإجابة...

- أجل، أردت فقط أن أسأل عنك يا صاحب العمر المديد

- هل ستحضر حفلة اليوم؟

- لا أظن ذلك...

- كيف لا؟، سيحضرون الساكي المفضل لديك...

- رررراائع... سأحضر طبعا

- حسنا، هل يمكنك أن توصلني معك؟...

- بالطبع سنذهب سوية

- جيد سأنتظرك... رافقتك السلامة...

مرت الساعات و كلي شوق و حماس... جلست أنتظر حتى وصل ميتسورو إلى منزلنا، ودعت الجميع، ركبت معه و انطلقنا بدراجته النارية:

- هيا انطلق يا ميتسورو

- ستكون حفلة رررراائعة... قلت لي ستكون هناك قنينات الساكي؟

- و لفائف أيضا

- رررراائع... تمسك بي جيدا، سأسرع...

وصلنا إلى مكان الحفلة، و التقينا ببقية الزملاء... رقصنا، غنينا، ضحكنا، لعبنا، أمضينا وقتا جد ممتع...

تجمهر الجميع حول صناديق العصير و الساكي فجذب انتباهي وجود قارورات عصير هاروكي!! فقدت صوابي من الضحك... طعم الحياة عاد من جديد!... أفرطت في شرب العصير و تناولت الكثير من الحلوى...

و جاء دوري على جهاز الكاراوكي، غنيت كالثمل بكل ما أوتيت من طاقة تحت تصفيقات الأصدقاء:

« أشاهد العالم، أشاهد الكل يجن، أنظر إلى الجميع، أنظر إلى شرورهم، لذا أخرج و أرقص، ناسيا بالاحتفال مشاكلي، أنظر إلي الآن، أنظر إلي و أنا أرقص مرة أخرى في النادي، لا شيء يهم حقا... » (*)

غريب حال هذا العالم، لكن مهما بلغت غرابته، سأعيش الحياة بكل تلقائية دون استفهام و لا استغراب، مستمتعا سأعيش النعمة، فلا شيء أغلى مما أعطي لنا... و لن أسأل عن ما لا إجابة له، لا شيء يستحق الإجابة، لا شيء يهم حقا... كم أنت غريب يا كل شيء...

(*) David Guetta feat. will.i.am - "Nothing Really Matter" (2011)

صحيفة أساهي

朝日新聞

الأربعاء 24/09/2014

علمت "أساهي" من مصادر مطلعة أن جنديا سابقا عاد لزيارة منزل إبنة أخيه بهيروشيما ليكتشف جثة هذه الأخيرة بالإضافة إلى ثلاث جثث هامدة بأحد غرف المنزل.

وحسب ذات المصادر ل" أساهي" فإن الجندي (ه. ب) قد عاد بمناسبة ''الاعتدال الخريفي'' لزيارة إبنة أخيه المتوفى، ليعثر على جثتها (28 عاما) مع ثلاث جثث لرجال مجهولي الهوية في غرفة الجلوس، كما عثر على مجموعة من الحبوب الدوائية بالمطبخ. و قام الجندي بالاتصال بالشرطة التي انتقلت إلى عين المكان فور إخبارها بالواقعة للوقوف على أسبابها الحقيقية، و تم نقل الجثث إلى مستودع الأموات لإخضاعها للتشريح الطبي.

صعدت إلى الطابق التاسع أو الحادي عشر، لا يهم.
صعدت لألقي نظرة على المدينة. كم تبدو صغيرة،
صغيرة جدا. حفنة متناثرة من البنايات يسبقها إلى
السماء برج كيوتو الأحمر... أين البشر وسط هذا
المشهد الجاف؟ ثم أين البشر وسط كون جاف؟؟...
عندما أتذكر صغر حجمي أمام الفلك الواسع، و أدرك
أن شأني كشأن أي كائن كان، عندما تتبخر تفاصيل
حياة الأفراد داخل نقطة باهتة في الفضاء، حينها
ألمس القسوة، و ينتابني حزن عميق ليست الدموع
بقادرة على مواساته. و هل أبكي الكون؟ هل أبكي
لغز الوجود؟... جفت الدموع وسط كون جاف.

دار الزنبقة